الحكيم ابو نصر الفارابي (١)

لا خلاف بين المؤرخين في أن اسم الفارابي (محمد) وانه ملقب (بابي نصر) وقد اختلفوا بعد ذلك في نسبه ، فمنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان كما في (عيون الانباء) لابن ابي أصيبعة ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ كابن خلكان ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان كالقفطي والبيهقي ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان كابن النديم في (الفهرست) ، ومنهم من يقول : هو ابونصر محمد بن محمد بن نصر كصاعد في (الطبقات) ويقول صاعد في موضع من كتابه أبو نصر محمد بن نصر .

فلا اتفاق على تسمية آبائه ولا على ترتيبهم ، واذا كان اسم ابيه موضع خلاف فلا غرو أن احداً من المؤرخين لم يشر الى اسم أمه ولا الى نسبها .

واكثر المترجمين للفارابي يذكرون أنه تركي لكن صاحب طبقات الأطباء يقول : (وكان ابوه قائد جيش وهو فارسي المنتسب) ولا سبيل الى تحقيق نسبه من هذه الناحية لتقارب البلادين واشتراك الأعلام فيهما ، واذا صح ان أباه كان قائد جيش فهو لم يكن من كبار القواد الذين يشيد بذكرهم التاريخ .

ولعل فيما امتاز به الفارابي من الشجاعة والصبر على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش ما يشعر بانه سليل أبطال .

ولم يقف الخلاف في أمر الفارابي عند حد التضارب في نسبه فقد اختلف المؤرخون في وطنه الأول ايضاً .

---

(١) للاستاذ المحقق الشيخ مصطفى عبد الرازق من اعضاء المجمع العلمي العربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والفارابي منسوب الى (فاراب) ولم يشذ عن القول بذلك الا ابن النديم في الفهرست فانه يقول : أصله من الفارياب من أرض خراسان ، والا البيهقي في كتابه المخطوط في تاريخ الحكماء فانه يذكر أن الفارابي من فارياب (تركستان) لان النسبة الى فارياب هي : فاريابي . وقد ذكر معجم البلدان أسماء جماعة من الأئمة نسبوا اليها : منهم محمد بن يوسف الفاريابي .

وفاراب التي ينسب اليها فيلسوفنا وتسمى (باراب) ايضاً هي ناحية كبيرة واسعة وراء نهر جيحون (أموداريا) كذا يقول ياقوت عند الكلام على (باراب) ولكنه يقول عندذكر فاراب : « ولاية وراء نهر سيحون » (سرداريا) في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم الا أن بها منعة وبأساً وهي ناحية سبخة لها غياض ولهم مزارع في غرب الوادي تأخذ من نهر (الشاش) والشاش هي مدينة بما وراء النهر ثم ماوراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك . ويتبين من ذلك ان لا خلاف بين عبارتي ياقوت فان (فاراب) وراء نهري جيحون وسيحون معاً ثم ان فاراب على جانبي الفرع الاكبر لنهر سيحون وهي في طرف بلاد الترك (تركستان) .

ويقول ابن حوقل الذي ظهر نحو سنة ٣٦٧ هجرية ٩٧٧ ميلادية أن على الشاطئ الغربي من سرداريا كانت توجد مدينة (وسيج) التي ولد بها الفيلسوف أبونصر الفارابي .

والمستشرقون يعتمدون هذا القول لكن كثيرين من مؤلفي العربية كالقفطي وابن ابي أصيبعة وابن خلكان صرحوا بان الفارابي من مدينة (فاراب) وقال ابن خلكان أن هذه المدينة تسمى لعهده (أطرار) ويقول الاستاذ (بارتولد) في الفصل الذي كتبه في دائرة المعارف الاسلامية : « ان الاصطخري الذي وجد في أوائل القرن العاشر يذكر أن قصبة ولاية فاراب كانت مدينة تسمى (قدر) في شرق نهر سرداريا على نصف فرسخ من مجراه وعلى الشاطئ الغربي من هذا النهر على فرسخين دون (قدر) توجد (وسيج) التي هي حصن صغير .

اما المقدسي الذي نبغ في أواخر القرن العاشر الميلادي فهو يذكر ان قصبة (فاراب) كانت تسمى باسم الولاية وعنده أن (قدر) مدينة حديثة النشأة .

ويرجح الاستاذ (بارتولد) أن تكون فاراب التي لم يذكرها ابن حوقل ولا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاصطخري هي المدينة الحديثة النشأة اما (قدر) فهي المدينة القديمة و (أُطرار) هي نفس مدينة (فاراب) وهي أحدث منها » .

وعلى ذلك فالراجح أن الفارابي ولد بوسيج كما ذكره ابن حوقل ونسب الى ولاية (فاراب) لا الى المدينة المسماة بهذا الاسم التي حلت محل مدينة (قدر) ثم حلت محلها (أُطرار) .

ولسنا نعرف مولد الفارابي الا بالتقريب استنتاجاً مما ذكره المؤرخون في وفاته فقد ذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ — ٩٥١ م) وقد ناهز ثمانين سنة ويكون إذاً مولده حول سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٢ — ٨٧٣ م .

ولا يعرف شيء عن طفولته وشبابه انما يقول المؤرخون : انه خرج من بلده وانتقلت به الأسفار الى ان وصل بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي فتعلمها وأتقنه ثم اشتغل بعلوم الحكمة على ابي بشر متى بن يونس وهو مسيحي نسطوري معروف بين تراجمة الكتب اليونانية واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ، وعلى الطبيب المنطقي المسيحي يوحنا بن حيلان ولم يذكر له المؤرخون أساتذة غيرهما .

واذا كنا لا نعرف التاريخ الذي خرج فيه الفارابي من بلده ولا التاريخ الذي وصل فيه الى بغداد فانا نستطيع ان نتلمس بعض هذه التواريخ استنباطاً من ثنايا كلام المترجمين للفارابي .

ويقول صاعد في « طبقات الأمم » (أخذ أي الفارابي صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر) والخليفة المقتدر توفي سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢ م ويقول ابن خلكان : ان الفارابي ارتحل من بغداد الى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان فأخذ عنه طرفاً من المنطق . ويؤخذ من ذلك أن يوحنا كان يشتغل بحران أولا ثم انتقل الى بغداد ومات بها قبل سنة ٣٢٠ هـ .

اما ابو بشر متى بن يونس فقد كان شيخاً كبيراً يقرأ في بغداد كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه فحضر أبو نصر دروسه زمناً قبل انتقاله الى حران ولعلنا نستطيع أن نقدر زمن درسه ببغداد ثم اشتغاله بحران ثم انتقال أُستاذه يوحنا بن حيلان الى بغداد ومقامه فيها الى أن مات بنحو عشر سنين فيكون دخول الفارابي الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بغداد لأول مرة حوالى سنة ٣١٠ هـ ولا يكون هذا الفرض جزافاً اذا راعينا ما ينقله ابن ابي أصيبعة من أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق وابو بكر بن السراج توفي سنة ٣١٦ هـ فلا بد أن يكون تبادل التعلم بينه وبين الفارابي قبل وفاته بست سنين على الأقل خصوصاً اذا روعي مالاحظه بعض زملائنا المشتغلين بدراسة تاريخ النحو من أن ابن السراج قد تأثر في مؤلفاته النحوية بأساليب المنطق وقواعده .

قد خرج الفارابي اذاً من بلده قاصداً الى بغداد حوالى سنة ٣١٠ وهو يومئذ يناهز الخمسين فحضر دروس ابي بشر متى في المنطق وتعلم في اثناء ذلك العربية عن ابن السراج في مقابلة تعليمه المنطق .

والظاهر أن الفارابي حين وصل الى بغداد لم يكن جاهلاً للعربية ولا للعلوم الحكمية كما يفيده كلام المؤرخين فليس من المعقول أن الامام ابن السراج المجمع على فضله وجلالة قدره في النحو والأدب يتعلم المنطق عن ناشيء يتلقى دروسه الاولى ثم يتأثر عقله بأسلوب هذا الناشيء وتعاليمه وليس بالمعقول أن من يجهل اللغة العربية يبتديء بتعلم ألفها وبائها عن ابن السراج . انما خرج الفارابي من بلده ليتصل بأئمة الحكمة والعلم في العراق والشام تكميلاً لما عنده من العلم والحكمة .

وقد ذكروا انه انما أخذ عن ابي بشر متى بن يونس وعن يوحنا بن حيلان علم المنطق وأخذ العربية عن ابن السراج فكيف تعلم الرياضيات وقد قالوا انه كان رياضياً بارعاً ؟ وكيف تعلم الموسيقي وقد كان يحسنها تلحيناً وتوقيعاً حتى ليحكى كما في ابن خلكان « ان الآلة المسماة بالقانون من وضعه وهو اول من ركبها هذا التركيب . ويقول غير ابن خلكان انه وضع آلة تشبه القانون وكتابه في الموسيقى اشهر كتب الفن كما انه كان في صباه يضرب بالعود ويغني » ويقول « كارادة ڤو » في دائرة المعارف الاسلامية : ان دراويش المولوية لا تزال تحتفظ باغانٍ قديمة منسوبة اليه .

ثم انه كان له بالطب معرفة بل ذكر بعضهم انه مارسه عملاً ، وأنكر ذلك آخرون .

فهل تعلم كل هذه العلوم وهي لاتستغني عن موقف الا قبل مجيئه الى بغداد ؟ ؟ ؟

ثم انهم ذكروا انه كان يعرف لغات كثيرة عند قدومه الى بغداد ورووا أساطير تدل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على انه كان يعرف سبعين لغة ومع مافي ذلك من الشطط فانه لايخلو من اثر الحق اذ هو بالضرورة كان يعرف التركية ولعله كان يعرف الفارسية وقد اتقن العربية وهو يتحدث في بعض كتبه عن اللغة اليونانية حديث خبير بها فهل يضطلع بعلم هذه اللغات الا الرجل العليم ؟ ؟

بعد ان قضى الفارابي وطره من دروس ابي بشر متى يتحول عن بغداد الى حران فأخذ عن يوحنا بن حيلان المنطق أيضاً ثم انه قفل راجعاً الى بغداد وكما يقول ابن خلكان وقرأ بها علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارسطاطاليس وتمهر في استخراج معانيها ويقال انه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه بخط ابي نصر الفارابي: اني قرأت هذا الكتاب مائة مرة . ونقل عنه انه كان يقول : قرأت السماع الطبيعي لارسطاطاليس الحكيم اربعين مرة وأرى اني محتاج الى معاودة قراءته . ويذكر ابن خلكان ان الفارابي الف في بغداد معظم كتبه .

ثم انتقل الفارابي الى الشام ثم توجه الى مصر وعاد الى الشام واتصل هناك بسيف الدولة ابن حمدان الذي عرف له فضله وأكرم وفادته فعاش في كنفه حتى مات .

وكلام المؤرخين مضطرب في امر هذه الانتقالات وقد أورد ابن خلكان في كتاب «الوفيات» أن ابا نصر ذكر في كتابه المرسوم بالسياسة المدنية انه ابتدأ بتأليفه في بغداد وأكمله في مصر .

وليس في كتاب السياسة المدنية المطبوع شيء من هذا .

وذكر ابن أبي أصيبعة انه ابتدأ بتأليف كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المبدلة والمدينة الضالة ببغداد وحمله الى الشام في آخر سنة ٣٣٠ هـ وتممه بدمشق في سنة ٣٣١ هـ وحرره ، ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها الأبواب ، ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولاً تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر في سنة ٣٣٧ هـ .

وذكر ابن ابي أصيبعة في موضع آخر من ترجمته ما نصه : «ونقلت من خط بعض المشايخ أن ابا نصر سافر الى مصر سنة ٣٣٨ ورجع الى دمشق وتوفي بها سنة ٣٣٩» .

والظاهر ان الفارابي رجع من بغداد الى دمشق سنة ٣٣٠ وهي السنة التي حصل فيها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وباء ببغداد وغلاء مفرط حتى اكل الناس الجيف وفيها حدثت فتنة البريدي .

وأقام بدمشق في شظف من العيش وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة ، قال ابن ابي أُصيبعة نقلاً عن الآمدي : ان الفارابي كان في اول امره ناطوراً في بستان بدمشق وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع الى آراء المتقدمين وشرح معانيها .

وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل الذي للحارس وبقي على ذلك مدة .

وملك سيف الدولة حلب سنة ٣٣٣ وبسط حمايته على العلم والأدب فقصده اليه الفارابي فآوى منه الى ركن شديد .

ثم انه عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه .....

وقد عاش منذ ذلك الحين في كنف سيف الدولة منقطعاً الى التعليم والتأليف غير منقطع عن الأسفار التي كان بها مغرماً وبلغت به أسفاره الى مصر ، ثم رجع الى الشام ولعله كان ينتقل بين حلب عاصمة الحمدانيين ودمشق التي كانت تدخل في حوزتهم تارةً وتخرج أخرى الى ان توفي بدمشق سنة ٣٣٩ وصلى عليه سيف الدولة في اربعة من خواصه أو خمسة عشر ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

كذلك ذكر المؤرخون وفاة ابي نصر وكلامهم يدل على انه مات بدمشق موتاً طبيعياً لكن البيهقي في كتابه المخطوط الموجود بدار الكتب المصرية المسمى « تاريخ الحكماء » روى عن موت الفارابي رواية هذا نصها :

« وقد سمعت من أُستاذي رحمه الله ان ابا نصر كان يرتحل من دمشق الى عسقلان فاستقبله جماعة من اللصوص الذين يقال لهم (الفتيان ؟) فقال لهم ابو نصر خذوا مامعي من الدواب والأسلحة والثياب وأخلوا سبيلي فأبوا ذلك وهموا بقتله فلما صار ابو نصر مضطراً ترجل وحارب حتى قتل ومن معه ووقعت لهذه المصيبة في أفئدة أُمراء الشام مواقع فطلبوا اللصوص ودفنوا أبا نصر وصلبوهم على جذوع عند قبره . وبعض من لم يكن له معرفة بالتواريخ يحكي ان ابا نصر قد عراه المالنخوليا ومرَّ على شط دجلة برجل يبيع التمر فقال له كيف تبيع التمر ؟ فأجاب الرجل بكلام غير ملائم فضربه وقال : أسألك عن الكيف وأنت تجيب عن الكم . »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولو صحت حكاية قتل الفارابي الأشار اليها من ترجموا له ممن كان زمنهم قريباً من زمنه كأبي الحسن علي السعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م . على انا لاحظنا في ترجمة البيهقي للفارابي خلطاً تاريخياً يزعزع الثقة بها وهذه الرواية المنقولة عن قتل الفارابي يشبه ان تكون تحريفاً لما رواه المؤرخون عن مقتل ابي الطيب المتنبي الشاعر المشهور في عودته من بلاد فارس الى الشام سنة ٣٥٤ هـ .

وقد وقع للبيهقي خلط ايضاً في ترجمة الفارابي حيث نقل عن كتاب « اخلاق الحكماء » : ان الصاحب اسماعيل بن عباد بعث الى ابي نصر هدايا وصلات واستدعاه اليه وابو نصر يتعفف وينقبض ولا يقبل منه شيئاً . حتى ضرب الدهر ضرباته ووصل ابو نصر الى الري . ودخل مجلس الصاحب متنكراً الى آخر ماذكره من رواية تشابه القصة المروية عن اتصال الفارابي بسيف الدولة .

والصاحب اسماعيل بن عباد ولد سنة ٣٢٦ فهو عند موت الفارابي كان صبياً لم يجاوز ١٣ عاماً .

اما صلاة ابن حمدان في بعض خواصه على جنازة ابي نصر التي عني المؤرخون بتسجيلها ، فهي آية مودة وتكريم من سيف الدولة لرجل اتاه الله حكمة تتعالى عن عقول العامة وقلوبهم .

هذه هي جملة حياة الفارابي مستخلصة من الحشد المضطرب في كلام من ترجموا له .

وقد عاش الفارابي عيشة الزهاد حياته كلها فلم يقتن مالاً ، ولا اتخذ صاحبةً ولا ولداً وكان يستطيع أن يستمتع برفه العيش خصوصاً في شيخوخته أيام استظلاله بظل الملك الجواد سيف الدولة بن حمدان لكنه لم يكن يتناول من سيف الدولة الا اربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري العيش وهو الذي اقتصر عليها لقناعته ولو شاء زيادة لوجد مزيداً .

وروى ابن ابي أصيبعة انه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط — الحملان جمع حمل الذكر من ولد الضأن — قال ابن خلكان : (وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالباً الا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده : وكان منفرداً بنفسه لايكون الا عند مجتمع ماء أومشتبك رياض ويؤلف كتبه هناك وكان اكثر كتبه في الرقاع ولم يصنف في الكراريس الا قليلاً ولذلك كانت اكثر تصانيفه فصولاً وتعليقات وبعضها مبتوراً ناقصاً » ج ١ ص ٢٥٦ — ٢٦٠ .

وتلك حياة فيلسوف زاهد موسيقي شاعر اما فلسفة الفارابي فستأتي أشارة اليها واما ابداعه الموسيقي فقد رويت فيه اعاجيب .

وحكى ابن خلكان : ان ابا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو بزي الأتراك وكان ذلك زيه دائماً فوقف فقال له سيف الدولة : اقعد فقال : حيث أنا أم حيث أنت ؟ فقال حيث انت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى اخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به قلّ ان يعرفه أحد فقال لهم بذلك اللسان : ان هذا الشيخ قد اساء الأدب واني مسائله عن اشياء ان لم يوف بها فاخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان : أيها الامير اصبر فان الأمور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وقال له : أتحسن هذا اللسان ؟ فقال : نعم أحسن أكثر من سبعين لساناً فعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون مايقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له :

هل لك في أن تأكل ؟ فقال لا : فهل تشرب ؟ فقال : لا فهل تسمع ؟ فقال نعم فامر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بانواع الملاهي فلم يحرك احد منهم آلته الا وعابه ابو نصر وقال له أخطأت فقال له سيف الدولة وهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ فقال نعم ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيداناً وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها وركبها تركيباً آخر ثم ضرب بها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم قياماً وخرج .»

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولئن كانت هذه الحكاية ادنى الى الاساطير منها الى التاريخ فهي تشبه أن تكون غلواً مجاوزاً لا اختراعاً صرفاً .

وقد روي للفارابي شعر فيه نفحة من اساليب الفلاسفة أحياناً وفيه احياناً صريخ محب للعزلة سيئ الرأي في الناس ومما روي من شعره :

يا علة الاشياء جمعاً والذي ... كانت به من فيضه المتفجر
رب السماوات الطباق ومركز ... في وسطهن من الثرى والأبحر
أني دعوتك مستجيراً مذنباً ... فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من ... كدر الطبيعة والعناصر عنصري

وروى له هذا الشعر ابن أبي أصيبعة وروى له ايضاً :

لما رأيت الزمان نكساً ... وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال ... وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضاً ... به من العزة اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحاً ... لما على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى ... ومن قراقيرها سماع
وأجتني من حديث قوم ... قد اقفرت منهم البقاع

وروى له ايضاً :

بزجاجتين قطعت عمري ... وعليهما عولت أمري
فزجاجة ملئت بحبر ... وزجاجة ملئت بخمر
فبذي أدون حكمتي ... وبذي أزيل هموم صدري

« مقدمة المجموعة المسماة — الفلسفة القديمة — المطبوعة بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٩١٠ » وذكر ابن خلكان : انه وجد في مجموعة ابياتاً منسوبة الى الفارابي هي :

أخي خل حيز ذي باطل ... وكن للحقائق في حيز
فما الدار دار مقام لنا ... وما المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا علي ... أقل من الكلم الموجز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهل نحن الا خطوط وقعن على نقطة وقع مستوفز
محيط السماوات أولى بنا فماذا التنافس في مركز

وقد شك ابن خلكان في صحة هذه الابيات وذكر أنه رآها في كتاب « الخريدة » منسوبة الى شاعر من شعراء القرن السادس معاصر لصاحب الكتاب .

ونحن نشك في معظم هذا الشعر أن يكون للفارابي لما في أسلوبه من تكلف ينبو عنه أسلوب فيلسوفنا وطبعه . ولما في معانيه من تبرم بالحياة والناس واستهتار بالشراب .

والفارابي انما كان يعتزل الناس ويؤثر الوحدة لما رأى أمر النفس وتقويمها اول ما يبتدئ به الانسان حتى اذا أحكم تعديلها وتقويمها ارتقى منها الى تقويم غيرها كما ذكر ذلك في كتاب « الجمع بين رأيي الحكيمين » تبريراً لتخلي افلاطون عن كثير من الأسباب الدنيوية وإيثاره تجنبها ولم يكن الفارابي ضجراً بالحياة ولا متبرماً بالناس أما الخمر فما نحسبه كان يشربها شهوة وتلهياً ، ذلك الرجل الذي كف نفسه عن شهوات الحياة ولهوها وقد يكون ضاع شعر الفارابي فيما ضاع من آثاره .

ولولا شك ابن خلكان شكاً وجيهاً لرجح عندنا أن يكون الفارابي هو القائل :

محيط السماوات أولى بنا فما ذا التنافس في مركز

بقي الكلام على فلسفة الفارابي ومكانه من الفلسفة الاسلامية .

يقولون : الحكماء أربعة — اثنان قبل الاسلام ، وهما : أفلاطون وأرسطو — . واثنان في الاسلام ، وهما : ابو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا . وكان بين وفاة أبي نصر وولادة أبي علي حوالى ثلاثين سنة وكان أبو علي تلميذاً لتصانيف الفارابي يعترف أنه لولاها لما اهتدى الى فهم ما بعد الطبيعة .

وكما لقب افلاطون بالحكيم الالآهي وأرسطاطاليس بالمعلم الأول لقب الفارابي بالمعلم الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس .

وآراء الناس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا فالقفطي يقول عن الفارابي : « فيلسوف المسلمين غير مدافع » ويقول ابن خلكان (وهو اكبر فلاسفة المسلمين) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس ابو علي بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه) .

أما الشهرستاني فيقول عند الكلام على فلاسفة المسلمين ومنهم الفارابي: « وانما علامة القوم أبو علي الحسين بن سينا » ويقول ابن سبعين الفيلسوف الصوفي الأندلسي الذي يقال : انه انتحر بمكة شوقاً الى الاتصال بالله سنة ٦٦٩ هـ في كتاب له مخطوط مانصه نقلاً عن المجموعة التي نشرها الأستاذ « ماسينيون » :

وأما الفارابي اضطرب وخلط وتناقض وتشكك في العقل الهيولاني وزعم أن ذلك تمويه ومخرقة ثم شك في النفس الناطقة هل غمرتها الرطوبة أو حدثت بعد ، وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ماذكر في كتاب الأخلاق و كتاب الملة الفاضلة والسياسة المدنية وأكثر تآليفه في المنطق وعدة كتبه نحو ٧٥ كتاباً وفيها من الالهيات ٩ وهذا الرجل أفهم فلاسفة الاسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير ومات وهو مدرك ومحقق وزال عن جميع ما ذكرته وظهر عليه الحق بالقول والعمل ولولا التطويل لذكرت ذلك مفصلاً » .

وابن سبعين هذا قد تناول بالنقد اللاذع بل بالتحقير الشنيع ابن سينا والغزالي وابن رشد ويقول الاستاذ « كارادهفو » في ترجمته للفارابي بدائرة المعارف الاسلامية : « ومذهب الفارابي هو مذهب الفلاسفة أعني الأفلاطونية الجديدة الاسلامية الذي بدأه من قبله الكندي ووجد في كتب ابن سينا من بعده أكمل عبارة عنه وقد يكون من الراجح أن الفارابي يخالف الكندي وابن سينا في بعض المواضع ولكن من العسير تعيين هذه المواضع ومن المناسب التحفظ بل الشك في تفسير مايتعلق بتفصيل مذهبه والواقع انا لانعرف من آثاره الا قليلاً ثم ان أسلوبه لا يخلو من غموض وفيما عرفناه من رسائله ما هو مصوغ في صورة حكم في نهاية الايجاز من غير نظام في ترتيبها ثم انه لايمكن البت عن يقين بأن مؤلفات كثيرة كمؤلفات الفارابي يتداولها تأثير أرسطو وافلاطون وأفلوطين تتجرد من التناقض على أن الفكرة التي تعتبر قاعدة لهذا المذهب وهي التوفيق بين ارسطو وافلاطون من ناحية وبين هذه الفلسفة الملفقة وبين العقيدة الاسلامية من ناحية أخرى ليست في نفسها سليمة من التضارب » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذه العبارة في جملتها قد تبين بياناً صحيحاً عن مكانة كل من الكندي، والفارابي، وابن سينا، في الفلسفة الاسلامية وان كانت تفاصيلها لا تخلو من نقد . والفارابي من خير المفسرين لكتب أرسطو خصوصاً في المنطق وأثره في هذا الباب هو الذي جعله يستحق التلقيب بالمعلم الثاني إذ كان أرسطو هو الأول هذا هو رأي بعض المترجمين للفارابي، ومنهم « كارادە ڤو »

وفي كتاب « ابجد العلوم » لحسن صديق خان ما نصه :

« وفي حاشية المطالع لمولانا لطفي : ان المأمون جمع مترجمي مملكته كحنين بن اسحاق وثابت بن قره وترجموها بتراجم متخالفة مخلوطة غير مخلصة ومحررة لاتوافق ترجمة أحدهم للآخر فبقيت تلك التراجم هكذا غير محررة بل أشرف أن عفت رسومها الى زمن الحكيم الفارابي . ثم انه التمس منه ملك زمانه « المنصور بن نوح السامانى » ان يجمع تلك التراجم ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محررة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة فأجاب الفارابي وفعل كما أراد وسمى كتابه « بالتعليم الثاني » فلذلك لقب « بالمعلم الثاني » وكان هذا في خزانة المنصور الى زمان السلطان « مسعود » من أحفاد المنصور كما هو مسوداً بخط الفارابي غير مخرج الى البياض اذ الفارابي غير ملتفت الى جمع تصانيفه وكان الغالب عليه السياحة على زي القلندرية وكانت تلك الخزانة باصفهان وتسمى « صوان الحكمة » وكان الشيخ أبوعلي ابن سينا وزيراً لمسعود وتقرب اليه بسبب الطب حتى استوزره وسلم اليه خزانة الكتب فأخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب ووجد فيما بينها « التعليم الثاني » ولخص منه كتاب « الشفاء » ثم ان الخزانة أصابها آفة فاحترقت تلك الكتب فأتهم ابو علي بأنه أخذ من تلك الخزانة الحكمة ومصنفاته ثم أحرقها لئلا تنتشر ولا يطلع عليه فأنه بهتان وافك لأن الشيخ مقر لأخذه الحكمة من تلك الخزانة كما صرح به في بعض رسائله وأيضاً يفهم في كثير من مواضع الشفاء أنه تلخيص « التعليم الثاني » .

وفي ذلك القول خطأ تاريخي فان منصوراً بن نوح السامانى أنما ولي أمر خراسان بعد سنة ٣٤٣ هـ بعد موت الفارابي .

ولا ينتهي فضل الفارابي عند تفسير كتب أرسطو وتصحيح تراجمها والتمهيد بذلك للنهضة الفلسفية في الاسلام التي تكاملت من بعده بل له أيضاً أنظار مبتدعة وابحاث في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحكمة العلمية والعملية عميقة سامية لما تتهيأ بعد للباحثين كل الوسائل لتفصيلها تفصيلاً وافياً وللفارابي كتاب في المدينة الفاضلة كما أن لأفلاطون كتاباً في الجمهورية الفاضلة .

والفارابي هو أول من عني باحصاء العلوم وترتيبها في كتابه « إحصاء العلوم » الذي نشره أحد خريجي قسم الفلسفة من كلية الآداب في سنة ١٣٥٠هـ ١٩٣١م « عثمان أفندي أمين » ووضع له مقدمة طيبة والذي يعنى بنشره بعض المستشرقين الاسبانيين أيضاً ومن أجل ذلك يعتبر بعض الباحثين أبا نصر أول واضع في العالم لنواة دوائر المعارف .

ولئن كانت الأجيال تهتف باسم الفارابي منذ ألف عام في الشرق والغرب فانه قد استحق ذلك بما وهب من حياته لخدمة العلم والحكمة وبما ترك من أثر في تاريخ التفكير البشري وفي تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة .

« القاهرة » . مصطفى عبد الرازق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net